الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية

أ.د. محمد أحمد عبد الهادي

تلعب المهن دورًا مهمًّا في حياة المجتمعات الحديثة ، وعلى قدر ما تؤديه المهنة من أدوار ووظائف في المجتمع على قدر ما تكون مكانتها ومكانة العاملين بها ، ولا يقتصر الأمر على المهن التي تتعامل مع أشياء مادية محسوسة ، كالهندسة والطب والتجارة وغيرها ، بل يمتد ذلك إلى مهن جديدة أصبحت المجتمعات الحديثة لا تستغني عنها كالتربية ، والخدمة الاجتماعية ، ومهنة الخدمة الاجتماعية تستمد وجودها واستمرارها في أي مجتمع من تبنيها للقضايا والمشكلات الاجتماعية التي تهم المجتمع ، ولم تعد أدوار الخدمة الاجتماعية قاصرةً على المجالات التقليدية على الرغم من أهميتها كرعاية الأحداث والمعوقين والمسنين ، بل بدأت تهتم بمجالات السياسة وحماية البيئة ، كما أنها تهتم بما يمكن أن يؤثِّر على مستقبل عملها المهني في المجتمع ، حيث تناول بعض الكتابات الآن تلك العوامل التي ستشكل مستقبل مهنة الخدمة الاجتماعية بتحديدها بثلاثة عوامل هي : الدين والسياسة والاقتصاد ، وإن غياب المهنة عن فهم تلك العوامل والتعامل معها سيؤثر بشكل واضح على دور المهنة في المجتمع .

ولقد شكل الدين أحد الدعامات الرئيسية التي قامت عليها مهنة الخدمة الاجتماعية في الخارج ، وما زال يؤثر ويتأثر بممارسة الخدمة الاجتماعية هناك ، وسيمتد في المستقبل بشكل أكثر وضوحًا على الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية ، ولذلك فليس غريبًا علينا أن تهتم دراسات الخدمة الاجتماعية بالدين الإسلامي وتعمل على الاستفادة منه وإفادة المجتمع الإسلامي بما يمكن أن تقدمه ؛ مساهمة منها في حل مشكلاته وإشباع احتياجاته .

ويمكن القول بشيء كبير من الثقة بأن جذور الخدمة الاجتماعية لن تضرب في المجتمعات العربية والإسلامية طالما أنها بعيدة عن الدين الإسلامي ، ولن ترتفع مكانتها وتحل كثيرًا من مشكلاتها المهنية التي تعوق العمل المهني ذاته فكرًا وعملاً إلا بالارتباط بالإسلام ، فإذا كانت الخدمة الاجتماعية في الغرب تهتم بالدين والسياسة والاقتصاد ، فإن الاهتمام بالإسلام يكفي ؛ لأن فيه الاقتصاد والسياسة والعلاقات الاجتماعية التي ينظمها ويضع ضوابطها الإسلام الدين الشامل والكامل .

وإذا كانت الدعوة إلى الإسلام مسؤولية كل مسلم ؛ فإن المسؤولية تتضاعف أمام

المهنيين بصفة خاصة ؛ نظرًا للدور المنوط بهم وللمكانة الاجتماعية التي يحظون بها على اختلاف مستوياتهم ، ومهنة الخدمة الاجتماعية كإحدى المهن الموجودة على الساحة في المجتمع المصري الآن يمكن أن تكون لها مساهماتها الإيجابية في مجال الدعوة الإسلامية ، وهذا هو هدف هذه الدراسة الذي يتبلور في الدور الذي يمكن أن تقوم به الخدمة الاجتماعية في مساعدة الدعوة الإسلامية ، وستتناول في هذه الدراسة موقف مهنة الخدمة الاجتماعية من الدين ، كما هو موجود في أدبيات المهنة ، ثم نعرض لطبيعة العمل الاجتماعي المسيحي في مصر ؛ نظرًا لأننا نراه أكثر اهتمامًا وقربًا واستفادةً من مهنة الخدمة الاجتماعية في ذلك ، والمهارات التي يمكن أن تفيد الداعية وجهاز الدعوة الإسلامية .

أولًا : الخدمة الاجتماعية والدين

لم يعد هناك خلاف على أن الخدمة الاجتماعية قد تأثرت بالدين منذ نشأتها الأولى ، كما أن هناك الكثير من الكتَّاب المعاصرين الذين كتبوا عن دور الدين في الخدمة الاجتماعية بشكل غير مباشر مثل توي Towe (١٩٦٥م) ، بيرلمان Perlman (١٩٥٧ – ١٩٧٩م) ، فريد لاندر Friedlander (١٩٥٨م) ، وهناك من ربط بين دور الدين في الخدمة الاجتماعية بشكل مباشر وفعال على المستوى النظري والتطبيقي ، منهم : سبنسر Spencer (١٩٥٦م) ، كينيث لوكاس Kennth Lucas (١٩٦٠م) ، وسالمون Salomon (١٩٦٧م) ، وكوهين Coughlin (١٩٧٠م) .

وتشير م . فنسيا جوزيف [١] M. Vincentie Joseph ، إلى أن الدوريات الرئيسية في الخدمة الاجتماعية والتي تناولت الدين والخدمة الاجتماعية ، والتي ترى بضرورة عزل الدين عن الخدمة الاجتماعية كانت قليلة ، بينما هناك العديد من المقالات التي تناولت دور الكنيسة في الخدمات الاجتماعية – علاقة الكنيسة بالولاية – متطلبات التمويل ودور المؤسسات الدينية – برامج الإبراشية على مستوى المجتمع المحلي : شيرارد Sherrad ، موراي Murray ، وكوهين Coughlin (١٩٦٥م) ، وست هوز Westhues (١٩٧١م) ، وتيكر Teicher (١٩٧٢م) ، وجوزيف Joseph ، وكونراد Conrad (١٩٨٠م) ، ونتنج Netting (١٩٨٢م) ، وكان هناك مقالات تركز على الجذور الرئيسية للخدمة الاجتماعية والتوافق بين الدين والخدمة الاجتماعية (سبنسر spencer

(١) M.Vencentia Joseph: The Religious and Sipirtnal Aspects of Clinical Practice: A Neglected Dimension of Social Work Social Thought, Wenner . 1987 , pp. 12 - 23.

(١٩٥٧م) ، ستروب Stroup (١٩٦٢م) ، ولقد تعاملت بعض الكتب مع هذه النقطة (كيث لوكاس Keith Lucas (١٩٦٢م) ، ونيبر Niebuhr (١٩٣٢م) .

وإذا كان الدين يمثل حجر الزاوية بالنسبة للخدمة الاجتماعية مؤثرًا في قيم ومبادئ المهنة بالنسبة لماضي المهنة وتاريخ نشأتها ، فإن حاضر المهنة يظهر سيدة الاتجاهات الدينية المسيحية واليهودية على الكثير من الأنشطة والممارسات ، بل على الكثير من مدارس وكليات الخدمة الاجتماعية الأمريكية كمدارس الخدمة الاجتماعية الكاثوليكية والبروتستانتينية واليهودية [١] .

ولقد لعبت المنظمات الدينية (المسيحية) دورًا رئيسيًّا في نشأة الخدمة الاجتماعية في دول العالم الثالث أيضًا حيث كانت نشأة مدرسة الخدمة الاجتماعية في جامعة نيودلهي بالهند عن طريق جمعية الشابَّات المسيحيَّات ..... وأنشئت مدرسة الخدمة الاجتماعية في زيمبابوي Zembabwe في إفريقيا عن طريق الجزويت ، كما أنشئت العديد من مدارس الخدمة الاجتماعية في دول أمريكا اللاتينية عن طريق الجامعات الكاثوليكية [٢] .

وهناك من يرى بأن مستقبل الخدمة الاجتماعية مرهون بثلاث قوى حاسمة ومؤثرة وهي : الدين والسياسة والاقتصاد ، وأن على الخدمة الاجتماعية أن تعد نفسها لمواجهة ما قد تحدثه تلك القوى في المجتمع [٣] .

ومن حيث مستقبل العلاقة بين الخدمة الاجتماعية والدين فإن الأمر لم يعد يقف عند حدود المشاركة المهنية التي يتيحها خريجوا مدارس الخدمة الاجتماعية الكاثوليكية والبروتستانتينية واليهودية أو ذات الاتجاه غير المعلن الذي تمتلكه كليات ومدارس الخدمة الاجتماعية التي ترجع أصول نشأتها إلى الكنيسة ، كما في الهند وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ، بل تعدى هذه الدور ليشمل الحركة في المجتمع المسيحي كلِّه أو دفعه إلى المسيحية .

ولقد كان أحد التغيرات الرئيسية التي ظهرت حديثًا في النسق الديني الأمريكي وفي إنجلترا ، والذي يجب أن يؤخذ في الاعتبار عند ممارسة الخدمة الاجتماعية ، هو ذلك

---

(١) انظر للبحث ، الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، (١٩٨٨م) ، الفصل الأول ، (ص ٩ - ٤٤) .

(٢) See; Midgleym, J.Professional Imperialism: Social Work in The Third World (London: Heinemon) 1981.

(٣) Betty J.Peccard: An Introduction to Social Work (the Dorsey Press Hoolwood, lllinois) 3ed . 1983 . P158 .

التحول الذي طرأ على وظيفة المنظمات الاجتماعية في المجتمع ، حيث أدركت بأن لها وظائف أخرى في تلك التي كانت تؤديها ، فمعظم الكنائس قد توسعت في أنشطتها لتشمل ممارسات ذات توجه اشتراكي ، وبدأت في الاهتمام بالرعاية الاجتماعية والعمل مع المجتمع ، وأدركت معظم الكنائس مسؤوليتها في أن يكون لها نشاط دائم ومستمر وفعال مع الناس في حياتهم اليومية ، ولم يقتصر نشاط الكنيسة على ما كانت تقوم به أيام الأحد ، ولقد بدأ يتنامى ظهور الطبقة المتوسطة واهتمامها بقضايا العمل المجتمعي من خلال الكنيسة وعلى نطاق المجتمع ككل ، وبحيث لا يقتصر على الواجبات التي كان يقوم بها الكاهن في حدود إبرشيته ، ولقد شجع هذا الاتجاه رجل الدين المسيحي للسير في هذا الاتجاه ، ولقد كان أحد الدوافع المشجعة لهم أيضًا تلك القضايا الساخنة التي طرحت في المجتمع الأمريكي خلال الستينات فيما يتصل بحركة الفقراء والتفرقة العنصرية ، مما حفز الكنيسة على أن يكون لها دور اجتماعي وسياسي في المجتمع .

على أن هناك اتجاهات تعارض ربط الدين بالخدمة الاجتماعية في الممارسات المهنية (١) . ويبدي أصحاب هذا الاتجاه تخوفهم الشديد من سيطرة الاتجاه الأصولي (*) Fundamentalism على الخدمة الاجتماعية ؛ ذلك لأن رجال الدين يرون بأنهم أقدر على إصلاح الفرد وحل مشاكله من أي مهني آخر ، كما أنهم رجال الدين (الأصوليون) يرفضون القاعدة العلمية التي تستند إليها الخدمة الاجتماعية في ممارساتها ، والتي تكونت عن طريق الممارسة المهنية الطويلة إضافة إلى الاستفادة من التطور الذي حدث في علم النفس وفي علم الاجتماع والإحصاء وغيرها من العلوم الإنسانية .

ويبدو أن هذا التخوف له ما يبرره بالنسبة « للأصولية المسيحية » أو ما تسمى « بالعصمة » ؛ ذلك لوجود التعارض الواضح والتناقض البيِّن بين الجوانب الدينية والجوانب العلمية ، وكما هو معروف تاريخيًّا فإن الكنيسة كانت تحارب أصحاب النظريات العلمية وتقوم بإعدامهم أو سجنهم ؛ لأنهم نادوا بنظريات علمية تخالف تعاليم الكنيسة بينما الإسلام لا يتعارض مع العلم ، بل هو يشجع عليه ويحث المسلمين

(١) Jemes Midgley and Pual Saazenbach: Social Work Religion and the Global Challenge of Fundamentalism : International Social Work (SAGE, London, New Bury Park and New Delhi) Vol ,32 (1989) , PP 273 - 287 .

(*) الأصولية fundamentalism هي حركة عرفتها البروتستانتينية في القرن العشرين تؤكد على أن الكتاب المقدس معصوم من الخطأ لا في قضايا العقيدة والأخلاق فحسب ، بل أيضًا في كل ما يتعلق بالتاريخ ومسائل الغيب كقصة الخلق وولادة المسيح بن مريم ، ويلاحظ أن هذا الوصف « الأصولية » يطلقه الغرب على الحركات الإسلامية التي تريد تطبيق الشريعة الإسلامية ، ويلاحظ هنا الخلط بين المفهومين رغم تبينهما .

جميعًا عليه ويعتبره فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولقد أجرى موريس بوكاي (**) دراسة امتدت لأكثر من ثلاثين عامًا تَعلَّم خلالها اللغة العربية لتمكنه هذه الدراسة من المقارنة بين الكتب السماوية الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن ؛ ليعرف مدى اتفاق أو تعارض تلك الكتب مع الحقائق التي كشف عنها العلم حديثًا ، وتوصل من خلال هذه الدراسة – وهو مسيحي – إلى أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي لا يوجد فيه حقيقة واحدة تختلف مع ما وصل إليه العلم الحديث من اكتشافات ونظريات على الرغم من كثرة الحقائق العلمية التي أشار إليها على عكس التوراة والإنجيل ؛ إذ وجد فيها الكثير مما يتناقض مع العلم الحديث (١) .

ولقد أصبح لزامًا علينا في أي مجتمع إسلامي أن نفكر ونعمل في اتجاه ربط الخدمة الاجتماعية تأصيلًا إسلاميًّا بالثورة المتكاملة التي يطمح فيها رواد هذا الاتجاه ، بل نستخدم الأساليب العلمية والمهارات الفنية المتاحة حاليًّا لخدمة قضايا المجتمع الإسلامي ، مع تجنب بعض مزالق التطبيق التي تطبق في المجتمعات الغربية والتي تتعارض مع قيم الإسلام ومبادئه ، ومما يسهل لنا هذا السبيل أن الخدمة الاجتماعية مهنة بالعقيدة ، وأن الدين بصفة عامة كان من ركائزها الأساسية ، وأن القيم الرئيسية بها لا تتناقض مع القيم الإسلامية ، بل إن سلامة التطبيق في المجتمع الإسلامي سيدفع بهذه المهنة قدمًا إلى الأمام وسيزيد من رصيدها المعرفي والقيمي ، كما أن مشكلات العالم الإسلامي لا يمكن لها أن تنتظر طويلًا حتى نفرغ من التأصيل الإسلامي بشكل كامل .

ولعل هذا الاتجاه الذي يتبناه الكاتب هو الذي دفعه إلى أن يتصور بأن الخدمة الاجتماعية يمكن أن يكون لها دور واضح ومؤثر في مجال الدعوة الإسلامية ، والتي تقوم على أسس اجتماعية صحيحة لا تكتفي فيها بالوعظ والإرشاد بالرغم من أهميته

(**) موريس بوكاي طبيب مسيحي فرنسي اهتم في بدء حياته بالدراسة المقارنة للأديان ، ودفعه تخصصه العلمي ؛ كطبيب إلى بحث المسائل العلمية ليتحقق عن طريقها من صدق الكتب الدينية المقدمة ؛ لانه من غير المنطقي أن يكون كلام اللَّه متعارضًا ومتناقضًا مع ما خلق .

(١) انظر موريس بوكاي : التوراة والإنجيل والعلم ، ترجمة حسن خالد ، المكتب الإسلامي بيروت (ط ٢) ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧م) .

– مناظرة الإسلام والنصرانية – مناقشة مجموعة من رجال الفكر من الديانة الإسلامية والنصرانية ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض المملكة العربية السعودية ، (١٤٠٧هـ) .

محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، (١٤٠٤هـ) .

– يوسف القرضاوي ؛ الرسول والعلم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م) .

بل تتعدى الدعوة ذلك بأن تشاهد الخدمة الاجتماعية لداعية في دراسة المجتمع دراسة علمية لمعرفة ظروفه ومشكلاته وتيسر له اكتساب بعض المهارات التي تفيده في التعامل مع المجتمع بطريقة صحيحة لتحقيق أهداف الدعوة الإسلامية .

ولقد سبقنا إلى ذلك في الوقت الحاضر أصحاب الديانة المسيحية في مجال الدعوة لدينهم ، ويمكن للداعية المسلم أن يستفيد من أساليبهم خاصة في ربطهم العمل الديني بمحورين أساسيين هما : العمل الاجتماعي ؛ والعمل السياسي ، واهتمامهم بمجالات التعليم والتثقيف إضافة إلى مجال تدريب القيادات التي تتحمل مسؤولية الدعوة على المستوى الفردي أو الجماعي .

ثانيًا : الدعوة الإسلامية والمسؤولية المهنية للخدمة الاجتماعية

إن مسؤولية الدعوة إلى اللَّه مسؤولية كل مسلم بصفة عامة والرسول ﷺ يقول : « **بلغوا عني ولو آية** » وهي رسالة موجهة إلى كل المسلمين ، ولكن تلك المسؤولية لا تتساوى بين الناس بل تتفاوت بحسب إمكانات وقدرات كل منهم ، ولقد أدت ظروف التطور الاجتماعي وتعقد النظم والعلاقات إلى ضرورة أن يتخصص بعض المسلمين في هذا الاتجاه على أن تتوفر فيهم مقومات معينة ، ويكون لديهم علم كافٍ بالفقه في أمور الدين وأحكامه ، وبالوسائل التي تساعدهم على نشرها بين المسلمين وتوعيتهم بذلك ، إلا أن الملاحظ لأسلوب الدعوة يجدها قاصرة بصفة عامة على المسلمين ، ودعوة المسلم للعمل بالإسلام تختلف عن دعوة غير المسلم ، كما أن الكثير من الدعاة يعتمدون على أسلوب واحد وهو الخطابة كوسيلة لنقل تعاليم الدين إلى الناس تمكنهم من ذلك خطبة الجمعة ، وعلى الرغم من أهمية هذه الوسيلة وعمومها بالنسبة لكل الدعاة والمسلمين إلا أن النجاح فيها مرهون بتوافر مقومات ومواهب خاصة ، إذا توفرت لدى الداعية كانت هي الأساس في نجاح دعوته وإقبال الناس عليه .

ويتفاوت الدعاة في ذلك تفاوتًا كبيرًا ، واكتفاء الدعاة بالخطابة كوسيلة وحيدة للدعوة يفرغ الدعوة من مضمونها ويجعلها مجرد خطبة تلقى في وقت محدد ينتهي أثرها – مهما كانت بليغة – بانتهاء الموقف ، وينصرف الناس إلى شؤونهم ومشاغلهم ، وربما يشغل البعض شيئًا مما قيل ، ولكن يظل الأمر على ما هو عليه من اهتمام بالشكل من جانب الناس أكثر من اهتمامهم بالجوهر أو بطريقة تعديل السلوك وكيفيتها .

ونحن نحاول هنا أن نتعرف على المقومات الأساسية التي يجب أن تتوفر لدى الداعية بحيث تعينه على أداء واجبه بشكل أفضل ، وتستطيع الخدمة الاجتماعية كمهنة

أن تساهم في ذلك بطريقة مباشرة وغير مباشرة .

وإذا كنا نعرف أن مسؤولية الدعوة هي مسؤولية كل مسلم فإن المسؤولية تزداد بازدياد درجة التعليم وارتفاع المكانة الاجتماعية للمسلم بين قومه ، ولذلك فيجب ألا يَكِل المهنيون ذلك الأمر إلى الدعاة الموظفين ويقتصر أداؤهم لعملهم المهني فقط ، فربما يكون تأثير الطبيب أو المهندس المسلم أكبر على المسلمين الذين يتعاملون معه بل قد يمتد إلى دعوة غير المسلم إلى الإسلام . ويستطيع كل مهني أن يدعو إلى الإسلام حسب جهده وطاقته مباشرة وغير مباشرة شرط أن يكون حريصًا في سلوكه على القواعد والأصول الإسلامية ، فإن تصرفه كمسلم حقيقي يراعي اللَّه في عمله ويحرص على ما ينفع الناس ولا يكذب أو يغش ويحرص على تأدية الشعائر في أوقاتها ويستهل عمله باسم اللَّه ، كان ذلك خطوة أساسية وضرورية لإقناع الناس ودعوتهم ، بعد ذلك يعمل المهني عقله في كيفية توضيح الإسلام لمن يتعامل معهم ويكون ذلك حسب مقتضيات الموقف ، وليس معنى ذلك أن يترك الطبيب عمله ويدعو الناس للإسلام ، ومعروف سبقًا أن الدراسة في كلية الطب لا تحقق التخصص في هذا المجال ، وإذا توفر ذلك لبعض الأشخاص بحكم سعة اطلاعهم واستعدادهم الشخصي ، لذلك فإنه يمكن أن يؤدي دوره كطبيب ناجح وداعية ناجح ولكن ذلك لا يكون إلا استثناء .

وإذا أعمل المهني تفكيره في هذا الاتجاه يستطيع أن يصل إلى ما لا يصل إليه غيره ، يستوي في ذلك كافة التخصصات المهنية من طبيب إلى مهندس أو مدرس أو أخصائي اجتماعي كل حسب طاقته وجهده وإمكاناته أي حسب ما هو ميسر له ، كما يقول الرسول ﷺ : « **اعملوا فكلٌّ ميسرٌ لما خُلق له** » (الحديث) والأخصائي الاجتماعي إذا كان إعداده العلمي والديني يسمح له بالعمل كداعية فإن ذلك من أنجح مجالات العمل بالنسبة إليه ، وأما إذا كان لا يملك تجاه هذا المجال إلا الاتجاه والنية فقط فإن هذا يكفي لأن يطرق هذا المجال ولكن من زوايا متعددة وتحت هدف مهني واضح هو مساعدة الدعوة الإسلامية على تحقيق أهدافها كمجال جديد من مجالات العمل الاجتماعي المهني للخدمة الاجتماعية .

دور الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية :

أ – في دراسة المجتمع والتعرف عليه :

يمكن للأخصائي الاجتماعي أن يقدم خدماته المهنية بشكل مباشر للجهاز القائم

بعملية الدعوة الإسلامية أو للداعية ، وذلك بحكم تخصصه المهني في مجال الخدمة الاجتماعية والتي تقوم على الدراسة العملية للظواهر والمشكلات الاجتماعية بغرض المساعدة في حلها ، والداعية الذي يعمل مع المجتمع الإسلامي أو غيره يحتاج إلى فهم ودراسة هذا المجتمع دراسة علمية قليلة ليحدد كيف سيتحرك معه والأسلوب المناسب له ، والأخصائي الاجتماعي قد يقوم هو بهذه الدراسة والتحلل ويعاون الداعية على فهمها والاستفادة منها ، وقد يعطي خبراته المهنية هذه للدعاة ويدربهم عليها ليقوموا هم بها عند الضرورة وعند عدم توافر أخصائي اجتماعي يعمل معهم ، إضافة إلى القيام بتدريبهم على بعض المهارات في العمل الدعوي .

ودراسة المجتمع سواء قام بها الأخصائي الاجتماعي أو الداعية بعد تدريبه ، تهدف إلى التعرف على طبيعة المجتمع الذي سيعمل معه الداعية ؛ هل هو مجتمع ريفي أو حضري ، أو يجمع بينهما ، وطبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة ، والقوى الاجتماعية المسيطرة ، وعادات المجتمع وتقاليده واتجاهاته السياسية ، والنظم الاقتصادية السائدة فيه ، والمنظمات الاجتماعية والرسمية الموجودة ، والخدمات القائمة ، وطبيعتها أهلية أو حكومية ، والحالة التعليمية ، وحجم القوى الاجتماعية ، كالشباب ودورهم ، ومنظماتهم ، واهتماماتهم ، ومشكلاتهم ، والقوى الاجتماعية ذات النفوذ واهتماماتهم وعلاقاتهم ، وأساليب عملهم العلني والمستتر ، وطبيعة بناء القوى الموجود في المجتمع ، ومراكز الثقل المؤثرة في الحياة الاجتماعية بصفة عامة ، وتحديد أوزان بالنسبة لحجم ودور وتأثير كل قوة من هذه القوى .

والجانب الآخر الذي تهتم به في دراسة المجتمع دراسة علمية هو مشكلات المجتمع الذي يعمل فيه الداعية ، ومعرفة طبيعتها هل هي مشكلات اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية ، ومدى أهمية كل مشكلة بالنسبة لغيرها ، وعدد الذين يتأثرون بهذه المشكلات والجهود التي بذلت لحلها ، والقوى التي شاركت في الحل ونتائجه ، وأسباب الفشل في علاجها ، ومعرفة أهم تلك المشكلات ، وترتيب المشكلات حسب أهميتها وخطورتها وحجمها ، والإمكانات اللازمة لها ، والإمكانات المتاحة ، والتي يمكن إتاحتها ، ومصدرها .

إضافة إلى ذلك يجب معرفة إمكانات المجتمع الذاتية المتاحة سواء قوى بشرية أو مادية اقتصادية أو أجهزة ، وخدمات قائمة ومدى فاعلية كل من هذه النظم ، ومعرفة معوقات تلك الأجهزة ، وكيفية تطوير أدائها والاستفادة منها ، وأثر ذلك على تنمية المجتمع والنهوض به ، ومن الإمكانات البشرية التي يجب معرفتها ومعرفة إمكاناتها هي قيادات

العمل الاجتماعي والسياسي في المجتمع الذين يتولون مراكز رسمية حكومية أو أهلية .

ب – في العمل مع المنظمات والبيئات الإسلامية :

– هناك مؤسسات ومنظمات محلية ودولية غرضها الأساسي هو الدعوة الإسلامية ، ويقوم العمل في الكثير منها على أكتاف قيادات متحمسة ذات اهتمامات وطموحات عامة في الدعوة الإسلامية ، ولكنها تصطدم في التنفيذ بالكثير من المشاكل والمعوقات الإدارية التي قد تكون داخل المنظمة التي يقودونها أو خارجها ، وقد تستنزف تلك المشكلات طاقات المنظمة وتبددها ، وقد تهتم بعض قيادات تلك المنظمات بالاستفادة من خبرات أخرى وغالبًا ما تكون إدارية ، ولكنها تغفل الجانب الاجتماعي المهني المتمثل في الخدمة الاجتماعية ، رغم أنها تعمل في مجال العمل الاجتماعي الديني كالجمعيات الخيرية الإسلامية ، ومن المنظمات الدولية التي بدأت تأخذ دورًا مهمًّا في حياة المجتمعات الإسلامية : رابطة العالم الإسلامي ومقرها الدائم مكة المكرمة ، وهي تهتم بأنشطة اجتماعية لها أهميتها في حياة الشعوب الإسلامية سواء بالنسبة لأفغانستان أو المتضررين من الجفاف في إفريقيا ، كما تهتم بالكثير من الأقليات المسلمة في بلدان أوروبا وأمريكا .

ويمكن أن يساعد الأخصائي الاجتماعي منظمات الدعوة الإسلامية في الآتي :

١ – الاهتمام بالتطوع والمتطوعين ، حيث يقوم المتطوعون في تلك المنظمات بالدور الأساسي في تنفيذ برامج المنظمة وتمويل مشروعاتها ، والخدمة الاجتماعية يمكن أن تفيد في هذا المجال بشكل واضح حيث ، إنها قامت في الأساس على الجهود التطوعية ، وتهتم طريقة تنظيم المجتمع بهذه الظاهرة وتعمل على تنشيطها ويمكن أن يتم في هذا المجال ما يأتي :

– الدعوة لزيادة عدد المتطوعين باستخدام الأساليب الملائمة لكل فئة ، والنوعيات اللازمة والمؤثرة في عملية الدعوة الإسلامية ، كالتركيز على الشباب والمهنيين ، كالأطباء والمهندسين والاجتماعيين وغيرهم .

– تنظيم عملية التطوع وما يرتبط بها من عمل مقابلات وسجلات وتوزيعهم حسب قدراتهم واهتماماتهم وإمكاناتهم .

– تدريب المتطوعين على العمل الذي سيوكَّل إليهم حتى يتم بالكفاءة المطلوبة .

– متابعتهم للمساعدة في حل المشكلات التي تؤثر على أدائهم لعملهم لضمان استمرار عطائهم التطوعي للمنظمة .

٢ – الاهتمام بأساليب العمل التي تتم في تقديم المساعدات الاجتماعية وفي أنشطة

المنظمة كافة ، بحيث تستفيد من أساليب العمل العلمي بطرق الخدمة الاجتماعية ، كخدمة الفرد في تقديم المساعدات الفردية ، وخدمة الجماعة وتنظيم المجتمع في العمل مع الجماعات والمجتمعات المحلية .

٣ – هناك منظمات إسلامية كثيرة هدفها تقديم المساعدات للمسلمين كالمساعدات الاقتصادية والخدمات الطبية وغيرها ، ونجاحها في هذا المجال يجعلها تهمل عملية الدعوة الإسلامية ، ويجب ألا تغفل أهمية الجانب الاقتصادي والاجتماعي في الدعوة ، ولكن يجب أن يكونا وسيلة إلى الدعوة الإسلامية وليسا هدفًا في حد ذاتهما ، والأخصائي الاجتماعي يمكن أن يساعد في عملية الاستفادة من تلك الخدمات وتوجيه القائمين عليها لتحقيق أهداف الدعوة ، وكما هو معروف أن حركة التنصير منذ نشأتها تهتم بتقديم خدمات صحية وتعليمية في معظم المجتمعات ، وما زال هذا هو الاتجاه الغالب في إفريقيا وآسيا ، ففي إندونيسيا وهي دولة مسلمة نسبة المسلمين فيها (٩٠٪) من السكان تهتم المؤسسات التنصيرية بشؤون التعليم فعلى سبيل المثال تقوم مؤسسة « مونتفورت فازر » ببناء المدارس ذات المناهج التنصيرية التي يدرس بها أكثر من أربعة آلاف طالب وطالبة ، ويعمل فيها بعض الرهبان الأمريكيين والقساوسة الأوروبيين ورجال التعليم ، بالإضافة إلى تغلغل تلك المنظمات في مجال الصحة والعلاج وكفالة الأيتام وتنشئة الأطفال ، كما تهتم بأعمال الطباعة والنشر وتوزيع المؤلفات التنصيرية عشرات الصحف والدوريات [١] .

٤ – الاهتمام بالتنسيق والتكامل بين المنظمات الإسلامية ، ويجب أن يساعد الأخصائي الاجتماعي الداعية أو الهيئة التي يعمل معها على ذلك ، والخدمة الاجتماعية تهتم بالتنسيق بين الهيئات الاجتماعية ، ولقد كانت عملية التنسيق بين المجالس والهيئات الاجتماعية التي بدأت في صورة جمعيات تنظيم الإحسان في عام (١٨٦٩م) في لندن ، ثم في الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك – هي الأساس الذي قامت عليه طريقة تنظيم المجتمع كطريقة عملية في الخدمة الاجتماعية . والملاحظ على الكثير من الجماعات الإسلامية أنه إن لم يكن فيها صراع أو خلاف فإنه ليس بينها أي نوع من التنسيق أو التكامل ، فكل يعمل بطريقته .

---

(١) مجلة الأمة ، العدد (٦٥) ، (جمادى ١٤٠٦ هـ ، يناير ١٩٨٦م) ، (ص٤٦) ، نقلًا عن مجلة إرساليات التنصير البروتستانتي التي تصدر في سويسرا .

ولذلك يجب أن يعي الداعية أهمية التكامل والتنسيق بين هيئات ومنظمات الدعوة الإسلامية على كافة مستوياتها المحلية والدولية ، وأن يعمل الأخصائي الاجتماعي على إيجاد الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الهدف .

٥ - الاهتمام بالمسجد باعتباره مركز الإشعاع الديني ، وتدعيم نشاطه الثقافي الاجتماعي ودراسة العوامل التي تؤثر على سلبية بعض المسلمين في أداء الشعائر فيه ، وربط المساجد بالمجتمع المحلي وبمشكلاته وقضاياه بشكل عملي ، والاهتمام بمجال رعاية الشباب عن طريقه ، والاهتمام بالزكاة وتنميتها واستثمار مواردها بالشكل الذي يعود على المجتمع بالفائدة ، وهي مصدر تمويلي كبير إذا أحسن الدعوة إليها وتوعية المسلمين بقيمتها ، وهناك تجارب بدأت منذ الستينيات في تقديم المسجد لبعض الخدمات الاجتماعية والصحية في صورة عيادات متنوعة ومراكز للتدريب المهني ودور للحضانة وغير ذلك ، وهي تجربة جيدة حبذا لو أضيف إلى العمل بها الجانب المهني المتمثل في الأخصائي الاجتماعي .

كما يجب أن تتولى الخدمة الاجتماعية والداعية الإسلامي موضوع الكتاتيب - وهي مكاتب تحفيظ القرآن - وذلك بتطوير بعض جوانبها على ألا يؤثر ذلك على جوهر عمليتها ، ويمكن في ذلك استخدام بعض الأساليب التي تجذب الأطفال وتروح عنهم في نفس الوقت كبعض الأنشطة الرياضية البسيطة ، وبعض الرحلات ، والاهتمام بالجوانب الاجتماعية كوسيلة للمساعدة في تحقيق أهداف تلك المراكز ، ويجب هنا أن يعي الداعية أهمية مثل هذه المراكز في تكوين العقيدة الإسلامية ، وأن يدرس باهتمام ما تقوم به الكنيسة في مدارس الأحد وأنشطة الأديرة كمراكز تعليمية وثقافية بجانب الأنشطة الدينية .

جـ - في العمل مع قيادات الدعوة الإسلامية :

لما كانت القيادة هي القدرة على التأثير في الآخرين وتوجيههم نحو هدف معين ، فإن القائد يكتسب أهميه خاصة في مجال الدعوة ؛ لأن الدعوة في جوهرها هي تغيير في الاتجاهات والسلوك نحو هدف محدد هو أن يصبح الإسلام عقيدة ومنهاج سلوك في حياة الأفراد والمجتمعات ، ويتوقف نجاح الدعوة وانتشارها في معظم الأحوال على وجود الداعية المؤثر والذي يتوافر فيه مقومات القيادة والمهارات اللازمة لها ، ولهذا نلمس فروقًا واضحةً ، بين داعية وآخر .

ولا شك أن الداعية يجب أن تتوفر فيه سمات خاصة طبيعية لا تتوفر لدى الكثيرين

مثل الذكاء ، وحب الناس ، والقدرة على الابتكار ، وبُعد النظر ، والقدرة على التأثير في الآخرين ، والطاقة على الصبر والاحتمال ، والإصرار على تحقيق الهدف ، والقدرة على الإقناع وقبل كل ذلك الإيمان بما يدعو إليه وإخلاص النيّة لله ﷻ في دعوته ، وبجانب تلك الصفات الطبيعية هناك صفات مكتسبة يجب أن يعمل القائد على أن يدعم بها قدرته وهي : العلم بما يدعو إليه والتفقه فيه ، واكتساب ثقافة واسعة حول موضوع الدعوة والإلمام بقدر الإمكان ببعض جوانب العلوم التي تخدم الدعوة وأساليبها ، وذلك بجانب المهارة في الدعوة واستخدام الوسائل المناسبة لتحقيق أهدافها .

والمهارة في الدعوة يمكن أن تتضمن مجموعة من المهارات الفرعية ، وهي تحتاج إلى المعرفة بها والتدريب عليها ، والأخصائي الاجتماعي يمكن أن يساعد بشكل واضح على تكوين وتنمية تلك المهارات لدى الداعية .

وهناك بعض الاعتبارات العامة التي يجب أن تراعى منها :

١ - يجب في البداية أن يساعد الأخصائي الاجتماعي الداعية على تفهم إمكاناته الذاتية ، والدور الملائم له في الدعوة ، والأساليب التي تساعده على تحقيق ذلك ، فالعمل الدعوي عمل متكامل ، فمثلاً هناك من هو أقدر على الخطبة والتأثير بالكلمة المسموعة على الناس ، وهناك من يتفوق في الحوار والمناقشة ، وهناك من له تأثير بالكلمة المكتوبة أو البحث العلمي ، وهناك من يقود الناس في مشروع معين يحقق فائدة ويحل مشكلة لهم وهناك من يستطيع أن يجمع أكثر من جانب من هذه الجوانب ، ومن المفيد أنه يكون لدى الهيئة التي تتولى عملية الدعوة بيانات كافية عن كل الذين يرغبون في العمل الدعوي وتوجيه كل داعية للمكان الذي يناسبه ومتابعته وتدعيمه ، حسب الظروف التي تواجهه .

٢ - يجب أن يعطي الداعية اهتمامًا كافيًا بالواقع السياسي الذي يحيط به ويحيط بالمجتمع الذي يدعو فيه للإسلام ، وأن يبتعد عن المواقف التي قد تضر أو تعوق حركة الدعوة الإسلامية ، وكلما كانت حركة الداعية تتم من خلال أنساق شرعية حكومية كلما كان ذلك أفضل ، كجمعية مشهرة ، والدعوة في جوهرها عملية تربية وتغيير في الاتجاهات ، وتحتاج إلى صبر وحكمة حتى تؤتي ثمارها ، والتعجيل في الوصول إلى النتائج يجهض الحركة ، بل إن القوى المعادية للدعوة الإسلامية قد تدفع جماعات الدعوة إلى مواقف صدامية بينها وبين السلطة أو بينها وبين أقليات معينة كالمسيحيين

مثلًا فيما يسمى بالفتنة الطائفية ، أو قد تدفع الجماعات الإسلامية إلى التناحر والخلاف العقائدي بينها حتى تتبدد طاقات هذه الجماعات وتستنزفها بعيدًا عن أهدافها ، ولذلك يجب أن يكون الدعاة على وعي بمثل هذه الأمور ، وتنصرف جهودهم إلى التنمية والبناء والتغيير الاجتماعي الذي يحقق أهداف الدعوة الإسلامية ، والفطنة السياسية لدى الداعية تجعله يحدد هدفه بشكل يتلاءم مع طبيعة الظروف السياسية ويضع الخطط الكفيلة بتحقيقها والأولويات التي تتفق مع إمكاناته والتي لا تضر بحركة الدعوة بناء على فهمه لهذا الواقع ؛ فقد يؤجل بعض الأهداف حتى يفوت الفرصة على خصومه ، ويجب ألا يستدرج لبعض المواقف التي تؤخذ عليه ، فاستمرار الدعوة رغم بطئها أفضل من سرعتها التي تجهضها ، وبالطبع لا يعني ذلك استخدام الداعية للأساليب الرديئة التي يستخدمها السياسيون من مداهنة ومناورة وخداع ، فإن ذلك لا يتفق مع طبيعة العمل الإسلامي وجوهر الدعوة الإسلامية .

مهارات الداعية :

يمكن تقسيم المهارات التي يجب أن يتسلح بها الداعية إلى مهارتين رئيسيتين هما : مهارات معرفية ؛ ومهارات قيادية وسلوكية سنتكلم فيهما بشيء من التفصيل :

١ – المهارات المعرفية : يحتاج الداعية إلى معرفة وفهم ووعي بما يدعو إليه وهي الأساس في الدعوة ؛ فالدعوة تحتاج إلى أسلحة ثلاثة أول هذه الأسلحة ولا ريب هو سلاح الإيمان فبدونه يبطل كل سلاح وتفشل كل ذخيرة ، وليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدَّقه العمل ، وثاني تلك الأسلحة هو الأخلاق ، وهي من لوازم الإيمان الحق وثماره ، وأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا ، وثالث هذه الأسلحة هو العلم والثقافة فهذه هي العدة الفكرية للداعية بجوار العدة الروحية الأخلاقية والدعوة عطاء وإنفاق ، ومن لم يكن عنده علم ولا ثقافة كيف يعطي غيره ، وفاقد الشيء لا يعطيه ومن لم يملك النصاب كيف يزكي [١] .

ونحن لا نقصد بالمهارات المعرفية المعرفة في ذاتها ، بل إن المعرفة هي الأساس الذي تقوم عليه رسالة الدعوة ، ولا بد أن تتكون لديه هذه المعرفة من مصادرها الصحيحة ، وهي القرآن والسنة وأن يكون حافظًا للقرآن الكريم أو أجزاءٍ منه ملمًّا بتفسير ما يحفظ ، إضافة إلى الفقه الإسلامي وأحكامه والتمكن في الحديث والسيرة النبوية ، وغير ذلك مما

(١) يوسف القرضاوي : ثقافة الداعية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الحادية عشر ، (١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م) (ص ٧) .

يعتبر أساس ثقافة الداعية والذي يحتاج إلى المتخصصين فيه والرجوع إلى المراجع التي تناولت موضوع الدعوة بشيء من التخصص والعمق [١] .

والمعرفة الإسلامية بشمولها وتكاملها بالنسبة للداعية ليست موضوع بحثنا ، ولكن النقطة التي نوليها أهمية بالنسبة للمهارات المعرفية هي ما يأتي :

– **المهارة في نقل المعرفة** : فليس كل إنسان لديه معرفة معينة بقادر على نقلها للآخرين ، فهو كصاحب رسالة يجب أن يعرف الأساليب المناسبة لنقلها سواء من جانبه هو أو من جانب المستهدَف بالرسالة ، فمن جانبه هو يجب أن يعرف كما قلنا مكاناته والجانب الذي يتميز فيه أكثر من غيره ، ومدى استعداده وتمكنه من الفكرة التي سيدعو إليها ، ومن جانب المستهدف فيجب معرفة إذا ما كان جماعة أو أفرادًا ، والأسلوب المناسب لذلك ، والوقت الملائم لهم ، واللغة والأداة المناسبة لهم ، وألا يغالي في استخدام العبارات البليغة إلا في موضعها ، وأن يستخدم قدر الإمكان بعض الوسائل الحسية التي تفيد في الموضوع الذي يدعو إليه ، فعلى سبيل المثال كان الشهيد حسن البنا في بداية تأسيس الإخوان المسلمين في الإسماعيلية قد اختار أكثر المقاهي ازدحامًا في الحي الوطني من المدينة حتى إذا امتلأ في المساء نادى على الزبائن ليستمعوا له فحدثهم حديثًا إسلاميًّا شائقًا في دقائق معدودة ، وهكذا حتى ذاع صيته في الناس وازدحموا في المقهى كل يوم لسماعه، ورحب صاحب المقهى بذلك فأعد له منصة يلقي من فوقها موعظته اليومية حتى جاء يوم فأطال الحديث ، وتناول قطعة من الجمر المشتعل المعد لتدخين « النرجيلة » قذف بها على الناس فانزعجوا وتفرقوا فإذ ا به يذكرهم بعذاب الآخرة ومسؤولية الإنسان عما قدمت يداه في دنياه ؛ حدثهم ساعتين فكأن على رؤوسهم الطير، ثم انصرف وتركهم ساهمين واجمين إلا ستة منهم تبعوه في طريقه لبيته ، وقالوا : مسؤوليتنا في رقبتك فقد أيقظت فينا شعورًا لن يخمد من بعد ، ولسنا كما ترى في مثل علمك ، كانت هذه المجموعة الأولى التي سمَّت نفسها (الإخوان المسلمون) التي أصلحت بأيديها مصلى خربًا مهجورًا ؛ ليكون مقرها للتعلم والعبادة ، ولم يمض وقت كبير حتى كانت منطقة البغايا في المدينة قد اشتريت

---

(١) انظر على سبيل المثال ؛ يوسف القرضاوي : ثقافة الداعية ، مرجع سابق ، خاصة (ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٣٠ ، ١٣١) .

– عبد البديع صقر : كيف ندعو الناس ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، (١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م) .

– علي جريشة : الدعوة والداعية ، دار الطبع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، (١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م) .

– فتحي يكن ؛ مشكلات الدعوة والداعية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (١٤٠١هـ ، ١٩٨١م) .

(وكان البغاء وقتئذٍ مصرح به رسميًّا) وهدمت وقامت مكانها دار الإخوان مزودة بمدرسة ومشغل للسيدات وتابت الخاطئات وتزوجن جميعًا [١] .

ومن هذا المثال يمكن أن نستخلص بعض الحقائق أهمها أن الحديث بدأ بالتدريج وكان يأخذ في بدايته دقائق قليلة – على عكس ما نشاهده من إطالة مملة عند البعض الذي يتصدى للدعوة دون مهارة ووعي – ثم بدأ في الوقت طالما أن المستمعين متشوقون للسماع ، وأنه استخدام شيئًا حسيًّا كالجمرات وكان وقع استخدامها أفضل مما لو كان الحديث عن النار وجهنم حديثًا لغويًّا فقط ، والنقطة الأهم من كل هذا هو تحويل الفكرة إلى واقع ، فتمثل في خدمات وحل مشكلات اجتماعية خطيرة كانت تعصف بالمجتمع بأسلوب سهل وبسيط ، وبهذا يدخل الإسلام في حياة الناس وواقعهم ، ولهذا يحسن أن تكون الدعوة من خلال منظمة يتكامل فيها العمل الدعوي من خطابة وكتابة ومحاضرات مع نشاط اجتماعي وطبي واقتصادي ، أما إذا كان العمل الدعوي عملًا فرديًّا ولا توجد المؤسسة لذلك فيحسن أن يكون الهدف منه هو هذا الشكل التنظيمي المؤسسي والشرعي كما حدث وتطورت فكرة الإخوان المسلمين على يد حسن البنا – عليه رحمة اللَّه – كما أشرنا ، على أنه قد تعجز إمكانات الفرد عن ذلك ويكتفي بنشاطه الفردي في الدعوة القائمة على الكلمة وانتعاش فيجب هنا أن يكون واعيًا لاستخداماته من أدوات ووسائل ولكل مقام مقال ، فما يصلح في الخطبة التأثيرية لا يصلح للخطبة التعبدية ، وأسلوب الخطبة يختلف عن المحاضرة ولجميع ذلك آداب ومتطلبات يجب أن يعيها الداعية [٢] .

– المهارة في الحصول على المعرفة ؛ وذلك عن طريق التدريب على القراءة السريعة ومداومة الاتصال بالأفكار الحديثة والقضايا التي تشغل المجتمع ، وجميع البيانات والمعلومات ، وتكوين رؤية إستراتيجية ومعرفة حركة القوى المناهضة للإسلام على المستوى المحلي والدولي ، والتعرف على أساليبهم وقراءة ما يكتبون وما يصلون إليه في مؤتمراتهم وتكوين لجان بحث ودراسة والاتصال والتنسيق بمركز البحوث العلمية ،

---

(١) حسان حتحوت : من سير الرجال ، حسن البنا رحمه الله ، مجلة الأمة ، العدد (٥٥) ، (رجب ١٤٠٥هـ ، إبريل ١٩٨٥م) ، (ص : ٢٦) .

(٢) انظر – عبد البديع صقر : كيف تدعو الناس ، المكتب الإسلامي .

– حسين بن محمد بن علي جبر : الطريق إلى جماعة المسلمين ، دار الوفاء ، المنصورة (١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م) ، (ص ٢٥٧ – ٤٢٥) .

وتكوين مكتبة علمية لأهم المراجع والكتب العلمية التي تفيد في مجال الدعوة والاستفادة مما يصل إليه العلم في التخصصات المختلفة بما يفيد قضية الدعوة الإسلامية على اختلاف مستوياتها .

٢ – المهارات السلوكية والقيادية :

الدعوة لا تنتقل بالكلمة أو بالقول دون العمل فالعمل مكمل أساسي للدعوة ، بل إن العمل وهو السلوك الذي يسلكه الفرد في حياته مع الآخرين قد يغني عن الكلمة ، ويقول ﷺ : « **ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدَّقه العمل** »

ولذلك يمكن أن نتناول المهارات السلوكية من خلال مجموعة من المهارات الضرورية لها مثل :

أ – المهارة في التعامل مع الأفراد :

ويمكن للأخصائي الاجتماعي أن يفيد الداعية في فهمه لبعض دوافع السلوك وأهمية العلاقات الاجتماعية في الدعوة وفي اكتساب القدرة على الاستماع للآخرين ومساعدتهم على حل مشكلاتهم ، ودراسة بعض الحالات التي تفيد في هذا الاتجاه ، فتزويد الداعية ببعض الأسس العلمية التي تفيد في فهم سلوك ودوافع الأفراد واتجاهاتهم وميولهم وكيفية التأثير عليهم والطرق المختلفة في ذلك تفيد الداعية فائدة كبيرة ، فالتأثير الفردي يكون أقوى وأكثر من التأثير في جماعة كبيرة مؤقتة كحضور ندوة أو محاضرة أو خطبة رغم أهمية ذلك .

– المساعدة في التعرف على الحالات التي تحتاج إلى مساعدة اقتصادية كانت أم جماعية أو نفسية ، وهناك ما يسمى في العمل المسيحي بالافتقاد والافتقاد يعني معرفة الحالات التي تحتاج إلى من يجلس معه ساعة أو ساعتين في اليوم يخفف فيه وحدته ، أو المريض الذي لا يجد من يرعاه صحيًّا لوحدته وشيخوخته وهنا يكلف الشباب المسيحي بأداء مثل هذه الأعمال بطريقة سرية ، وبالطبع يتم الاختيار بدقة لمن يقوم بهذه المهام الشباب والشابات .

– مساعدة الداعية على أساليب التعامل مع نوعيات معينة من الأفراد ذوي التأثير أو من لديهم قدرات قيادية لتدريبهم على العمل الدعوي ممن لديهم استعداد لذلك ؛ لأن التعامل مع الناس لدعوتهم إلى الخير يحتاج إلى تدريب على مواجهة الناس والحديث إليهم ، وكلما كان ذلك وفق برنامج مدروس كلما كان ذلك أفضل .

– الاستفادة من بعض أساليب العمل المسيحي الفردي ، كأسلوب معايشة الأسر خاصة في إفريقيا (*) .

ب – الاهتمام بإعداد قيادات جديدة للدعوة :

تهتم الخدمة الاجتماعية اهتمامًا بالغًا بظاهرة القيادة الطبيعية بقصد إنماء هذا النوع من القيادات بزيادة أعدادهم والاكتشاف المبكر لهم وتدريبهم لصقل مهارتهم في هذا الاتجاه ؛ ولأن الدعوة تقوم على القيادات الطبيعية المؤهلة لهذا النوع من النشاط فيمكن للخدمة الاجتماعية أن توفر البرامج التدريبية لهؤلاء الدعاة على مستويات مختلفة ، وظاهرة إعداد الكوادر تعطيها المسيحية أهمية بالغة وسنذكر على سبيل المثال أحد البرامج المنفَّذة في إندونيسيا لعلها تفيد في هذا المجال (١) .

١ – اسم المشروع : مركز التدريب النصراني في قرية تشيكمبار ، سوكابومي – جاوا الغربية ومدينة ماجالينكا .

٢ – أهداف المشروع :

تزويد الكوادر بالمهارات المهنية والزراعية والفنية والصناعة ، يستعملونها كوسائل للاتصالات المباشرة مع عامة الناس كل حسب طبيعة أعمالهم .

– الإشراف على الكوادر التي تعمل بالمجتمعات المحلية مع إيجاد علاقة قوية بالمجتمع المحلي لنشر المفاهيم المسيحية ، والإيحاء لهذا المجتمع بأن المسيحية دين طيِّب بدليل تلك الخدمات الإنسانية التي يؤديها للناس .

– الإيحاء للحكومة النظامية بأن النصارى يخدمونهم في تطوير الوطن بدليل تلك الخدمات التي يقدمونها للناس .

– تأليف قلوب الكوادر من مختلف المحافظات ، وتبادل الأفكار والخبرات بينهم .

٣ – خطوات المشروع :

إعداد أرض مساحتها ٥٠ فدان لتلك الأغراض .

– تقسيم الأرض بعد استقطاع مبانٍ للسكن والإدارة ودار للضيافة والمستودع وغيرها

(*) فتاة جاءت من الولايات المتحدة الأمريكية للعمل في إطار إحدى المؤسسات التنصيرية ، وعاشت مع إحدى الاسر الزنجية البسيطة في منطقة الجنوب ، واصبحت تحمل اسم الأسرة ، وتعيش ..... في مجال التنصير .

(١) التقرر المختصر لبعض النشاطات التنصيرية في إندونيسيا لعام (١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م) صدر عن المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية شوال (١٤٠٩هـ – مايو ١٩٨٩م) .

obeikandl.com

إلى أقسام لزراعة الأرز – القرنفل والبن والذرة والفول والبرتقال والأناناس إضافة إلى جزء لتربية الماشية والدواجن .

٤ – **التدريبات وتشمل** : العلوم الاقتصادية – العلوم البيئية والصحية والتربوية والإدارية ، والإعداد النفسي ، إضافة إلى العلوم المهنية المختلفة وعلوم الإسكان ، وجميع هذه العلوم تدرس نظريًّا وعمليًّا بحيث يتصلون مباشرة بالناس خلال فترات التدريب .

وتتم خطوات التدريب كما يلي :

– النزول إلى الناس والعمل معهم بشكل مباشر .

– أن يكون التأثير في الناس عن طريق القدوة الحسنة .

– مدة العمل ثلاث سنوات إلزامية بعد التخرج إلا إذا تزوج الشاب أو تزوجت الفتاة من أهالي المنطقة .

– لابد من إعداد البديل قبل ترك المنطقة بعد انقضاء الفترة المطلوبة ، وأن يكون البديل من أبناء المنطقة وذلك حتى لا يكون هناك فراغ .

– ومن المبادئ العامة التي يلتزمون بها عند العمل ما يأتي : –

– عدم الصراع مع بعضهم البعض (الكاثوليك والبروتستانت) .

– تجنب الصدام بينهم وبين المسلمين (لشعورهم بأنهم أقليَّة) .

– تجنب الصدام بينهم وبين الحكومة النظامية (لحاجتهم إلى الجماعة) .

– الاهتمام بالأمور التالية :

* البناء الداخلي والاعتماد الذاتي .

* مشاركة الحكومة النظامية في البناء والتعمير .

* دراسة العلوم الأخرى المساعدة بجانب دراسة الإنجيل ونشره .

* تنشيط بناء الكوادر وتوزيعهم إلى جميع أنحاء إندونيسيا للعمل ، والاتصال المباشر بالناس ، ومتابعة شؤون ودراسة احتياجاتهم ، وحل مشكلاتهم وما يمكن تقديمه من المساعدات .

ويمكن في إطار الاهتمام بالقيادات وتدريبها أن تتولى الخدمة الاجتماعية عن طريق الأخصائي الاجتماعي تزويد الداعية بالمهارات التالية : –

١ – **المهارة في المقابلة** : وذلك حتى يجري الداعية مقابلاته مع الأفراد الذين يدعوهم

مباشرة إلى الإسلام أو يستفيد من جهودهم في الدعوة أو يساعدهم في حل مشكلاتهم ؛ لأن للمقابلة أصولًا علمية وفنية حتى يمكن أن تحقق الغرض منها ، كمدة المقابلة ، والأسئلة التي توجه ، وطريقتها ، والمناطق التي توجه إليها الأسئلة ، وملاحظة استجابات الشخص الذي يتم مقابلته ، والاستماع إليه ، والوقت المناسب لتوجيه الأسئلة ، وبداية المقابلة ، ونوع الأسئلة ، وملخص المقابلة ، كل ذلك موضوعات يمكن للأخصائي أن يساعد الداعية فيها بشكل مؤثر وفعال .

٢ – المهارة في عقد الاجتماع : قد يكون الداعي هو الذي يدير الاجتماع مع جماعة من الناس أو مجموعة قيادات أو غير ذلك ، وهو هنا يحتاج إلى مهارة في إدارة الاجتماع يمكن للأخصائي الاجتماعي أن يساعد فيها ويدون في ذلك مثلًا : الوقت المناسب للاجتماع ، والإعداد له من حيث الموضوع ، والمادة التي ستناقش فيه ، والمكان الذي سيعقد فيه ، وكيفية تسجيل ما يدور في الاجتماع ، وتوجيه الأسئلة ، ومعرفة ديناميات الأعضاء واتجاهاتهم ، ومدى التفاعل الإيجابي أو السلبي بينهم ، ومواقف كل منهم وكيفية التدخل لتذويب الحساسيات والمقاومة من البعض ، وتحديد المسؤوليات والواجبات ، وإتاحة الفرصة لكل عضو بالمشاركة الإيجابية في المناقشة والمسؤولية وغير ذلك من الأمور المهمة التي لا غنى عنها للداعية حتى تثمر تلك الاجتماعات وتوجه بشكل إيجابي للدعوة .

٣ – المهارة في العمل من خلال فريق : حيث يشيع في مجتمعاتنا الاتجاه إلى العمل الفردي بين القيادات بصفة عامة ، وهذا الأسلوب يؤدي إلى تفتيت القوى وعدم تكاملها وربما إلى الصراع الذي يصل إلى هدم ما يبنيه الآخرون ، ومهما قلت سلبيات هذا العمل الفردي فإنه يحرم الداعية من جهود عناصر مختلفة لها تأثير ربما يكون أقوى من تأثير الداعية كفرد ويجمع الكثير من القدرات والخبرات في اتجاه الدعوة مما يكون له تأثير أكبر ، ولذلك فدور الأخصائي الاجتماعي هنا هو تدريب الداعية على اكتساب خصائص العمل الجماعي وعدم التركيز على الذات ، خاصة أن الداعية يجب أن تكون نيته خالصة لوجه اللَّه تعالى وبالتالي فهو لا يحرص على الظهور وإسناد الأعمال إليه، وهذا العمل الفريقي يسد ثغرة كبيرة في مجال العمل الاجتماعي لو أحسن استخدامه وتنظيمه حيث يتم الاستفادة من كافة المهنيين كالطبيب والمهندس والمحامي ورجل الإعلام والقيادات الحكومية والشعبية كل في موقعه ، وحسب ما تسمح به قدراته في خدمة الدعوة .

٤ – المهارة في عقد المؤتمرات : لا غنى للدعوة عن عقد المؤتمرات الإعلامية أو العلمية حسب الحاجة لكل منهما ، ولكن عقد المؤتمر يحتاج إلى مهارة عالية في الإعداد والتنظيم

والتنفيذ والمتابعة حتى يحقق الغرض منه ، وتلعب المؤتمرات أهمية كبيرة في تعبئة الرأي العام تجاه قضية معينة وتوجيه النظر إليها ، كما تلعب المؤتمرات العملية بالذات دورًا مؤثرًا وبشكل أعمق وله صفة الاستفادة المستمرة من نتائجه ، ويكفي أن نشير إلى أحد المؤتمرات الحديث الذي عقد في الثمانينيات في مدينة كلوراو بالولايات المتحدة الأمريكية ، وسمي بمؤتمر الألف مليون دولارًا ، وهي قيمة ما جمع من تبرعات رصدت لعملية تنصير المجتمعات الإسلامية ، واقتصر الحضور فيه على العلماء من ذوي التخصصات المختلفة ، وقدم فيه أربعون بحثًا علميًّا تناولت كافة القضايا المتعلقة بتنصير تلك المجتمعات [١] .

والأخصائي الاجتماعي يمكن أن يسعد الدعاة في إكسابهم المهارات اللازمة لنجاح مثل هذه المؤتمرات في الإعداد والتجهيز لها قبل موعدها بوقتٍ كافٍ ، واختيار الموضوع ونوعية المشاركين فيه ، والوقت المناسب له والمكان الملائم ، وتشكيل أمانة المؤتمر واللجان اللازمة والأبحاث المقدمة ، والجلسات العامة الافتتاحية والخاتمة ، والتمويل والإعلام ، وكل ما يلزم لإنجاح المؤتمر .

* * *

(١) الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر في المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرع الرياض (١٤١٠هـ) .

obeikandl.com